

الفاظ العنف في قصيدة الهجاء عند الجواهري

م. نجاة علوان الكناني

جامعة البصرة - كلية التربية - قسم اللغة العربية

الخلاصة :

لقد كان للظروف التي مر بها الجواهري الأثر البارز فيما ترك من نتاج شعري، ولا سيما تلك القصائد التي تميزت بأسلوبها العنيف في مخاطبته للآخرين، فقد عاش حقبة زمنية عانى فيها الشعب ما عانى فأحس بمعاناة الناس وبدأ بكتاباتة الثورية التي دافع فيها عن المحرومين والمضطهدين من أبناء الشعب العراقي وأمنا العربية مطالباً برفع الظلم عنهم وتوفير الحياة الحرة الكريمة لهم مدافعاً عنهم بالكلمة الصادقة والروح الثورية العنيفة وبالأسلوب المميز في سخطه وغضبه، فكان صوته قوياً وهجومه عنيفاً بوجه الحكام الظالمين وأعدائهم المستبدين.

إن الألفاظ التي استعملها في أغلب قصائده كانت سهلة مأنوسة بعيدة عن الغموض والتعقيد معبرة عن أسلوبه العنيف دقيقة في وصف الحالة الشعورية التي يمر بها، وأن معظم صور العنف لديه كانت حسية حركية عبر من خلال الأفعال التي استعملها عن أحساسه النفسي المتألم لحالة الشعب وما يعاني من ظلم متبنياً بذلك قضاياها في النضال والثورة، فضلاً عما تركته مضايقات الآخرين ومحاولتهم النيل منه في داخله من غضب وتحدي أدى به إلى كل ذلك العنف.

المقدمة:

العنف ظاهرة يتجه لها الفرد نتيجة ضغوط الحياة والمجتمع عليه ، وهي ترجمة حية لما يدور في داخله من معاناة وألم شديدين .

لقد حمل الجواهري معاناة شعبه ودافع عن حقوقه وتحدى المحتل الغاصب والحاكم المستغل، ففاضل بالكلمة الصادقة وبالروح الثورية العنيفة وبالأسلوب المميز في سخطه وغضبه، مُتبنياً قضايا المجتمع ومُطالباً بحصول أفرادهِ على الحياة الهانئة .

إن غاية هذا البحث هي بيان كيف دفعت الظروف الشاعر إلى أن يكون ذا أسلوب عنيف في مخاطبته للآخرين، فضلاً عن ملاقاته أنواع المظالم من الخصوم والأعداء بسبب نفسه العنيفة، مما أدى إلى نفيه وتجربته لمرارة الغربة وبالتالي موته بعيداً عن أرض الوطن.

أما المنهج الذي اتخذته في دراستي هذه فهو المنهج النفسي، وذلك لأن العنف إنعكاس لما في داخل النفس البشرية من شجون وآلام نفسية، ولهذا فقد قمت بتحليل بعض النصوص التي تجسد تلك الظاهرة مبينة من خلالها الأسباب التي دفعته إلى ذلك العنف كلّه .

ولتكون هذه الدراسة وافية فقد تناولت في البدء تعريف العنف، ثم تطرقت إلى بعض الظروف المتعلقة بنشأته الأولى وحياته الاجتماعية لبيان أسباب ميله إلى العنف، وبعد ذلك درست اللغة التي استعملها في توجيه الألفاظ العنيفة إلى خصومه، فضلاً عن تكراره لبعض الألفاظ من خلال النصوص الشعرية التي توضح ذلك.

تعريف العنف:

يعرف العنف على أنه ضد الرفق ف((العُنْفُ: الخُرْقُ بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق. عُنْفَ به وعليه يَعْظُفُ عُنْفًا وَعَنَافَةً وَأَعْنَفَهُ وَعَنْفَهُ تَعْنِيفًا، وهو عَنِيفٌ إذا لم يكن رقيقاً في أمره. وَأَعْتَنَفَ الأمر: أخذه بعُنْفٍ. وفي الحديث: إن الله تعالى يُعْطِي على الرفق ما لا يُعْطِي على العنف، هو بالضم، الشدة والمشقة، وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشر مثله. والعَنْفُ والعَنِيفُ: الْمُعْتَنِفُ.))^(١). وكذلك يأتي العنف بمعنى اللوم فنقول ((أعنفته أنا وعنفته تعنيفاً غيرته ولمته ووبخته بالتقريع. والعنيف من لا رفق له بركوب الخيل والجمع عنف وقيل هو الذي لا يحسن الركوب وقيل هو الذي لا عهد له بركوب الخيل قال امرؤ القيس يصف فرساً:

يزل الغلام الخف عن سهواته ويلوي بأثواب العنيف المثقل

وشاهد الجمع لم يركبوا الخيل إلا بعد ما هرموا فهم ثقال على أكتافها عنف.))^(٢)، و((عُنْفَ به وعليه - عُنْفًا، وَعَنَافَةً: أخذه بشدةٍ وقسوةٍ و - لأمه وعيره، فهو عنيف))^(٣).

لذلك فالعنف هو الشدة وعدم الرفق في التعامل مع الآخرين ، فيلجأ الفرد إلى استعمال ألفاظ ذات أسلوب عنيف تتسجم مع حالته الشعورية معطياً بذلك صورة واضحة المعالم عن تحديه ووقوفه بوجه الخصوم ، فهو وسيلة للتعبير عن الذات المصدومة بواقع الناس المتعذبة في الحصول على الحياة الحرة الكريمة .

أثر الحياة القاسية على الشاعر:

لأجل التعرف على الأسباب التي قادت الشاعر إلى مخاطبته الآخرين بألفاظ عنيفة، كان لابد من الوقوف على الظروف التي أحاطت به منذ بداية نشأته الأولى، فالظروف والأحداث المختلفة التي مر بها الشاعر الأثر البارز في تكوين نفسيته العنيفة التي انعكست بالتالي على نتاجه الأدبي.

قد يعود سبب عنف الجواهري إلى طبيعة التربية التي تلقاها في طفولته بين الثامنة والتاسعة من عمره، فقد عاش طفولة مكبوتة فرضها عليه والده الذي كان يجبره على حضور مجالس الشيوخ يومياً، الذين كان يدور بينهم جدل حول أمور فقهية وغيرها لا يفهم هذا الطفل منها شيئاً، وكان هذا الجدل يطول إلى ما بعد منتصف الليل والطفل وسط هذا المجلس مكره الحال لا يهتم به أحد وعندما ينتهي المجلس يقوم والده بإيقاضه من نومه القلق والطفل يجر خطاه خلفه، وكان أيضاً يحثه على عدم التقصير في التحضير والحفظ وإذا ما أخطأ يوماً ما فالويل له من غضبه وعقابه، فكان والده عنيفاً حاداً في طباعه ونتيجة لتلك المعاملة أنه كان يستيقظ ليلاً وهو يصرخ من الكوابيس الموحشة التي يراها في منامه، فكانت والدته تعالجه بالأدعية والحروز وهي حزينة من تصرفات والده معه محذرة له ولكن قرار الوالد لا يرد فقد أختار له ان يجعل منه فقيهاً نابهاً يُعيد أمجاد صاحب الجواهر^(٤)، ولذا فقد ((تركت البيئة النجفية الحادة

تأثيرها على الجواهري، فكان عنيفاً حدّ السيف أحياناً، وفي الوقت نفسه أكسبه الشعر وحبّ الجمال الرقة حدّ الوداعة، كان صلباً شديداً من جهة، وليناً مجاملاً من جهة أخرى...))^(٥).

لقد شهد العراق فترات حكم مختلفة عانى منها الشعب الكثير فمن الحكم العثماني الذي استمر سنوات طويلة إلى الحملة البريطانية عام ١٩١٤ ومن ثم الحكم المسمى بالوطني الذي كان أداة طيعة بيد الاستعمار، فعاصر الجواهري كل تلك الحكومات وأحس بمعاناة الشعب فوقف إلى جانبه مُدافعاً عنه ((فكانت المظالم الاجتماعية والسياسية، وكان التعسف والتأخر وكان الخراب والدمار. في هذه الظروف المتأزمة المضطربة برز الجواهري إلى دنيا السياسة والأدب، وكان سلاحه الشعر الهادر والكلمة المتفجرة. هاجم قوات الاحتلال، وأشترك في ثورة العشرين عام ١٩٢٠ ضد المحتلين الانكليز...))^(٦)، ونتيجة لذلك فقد تعرض الجواهري لضغوط شديدة، وقد ذكر الأستاذ عبدالكريم الدجيلي في المبحث المعنون بـ(الصحف التي أصدرها الجواهري) المضايقات التي تعرض لها الشاعر من الأنظمة التي حكمت العراق أبان تلك الفترة، وكيف قامت تلك الحكومات بإغلاق صحفه وعزله عن وظيفته وتوجيه الشكاوي والدعاوى ضده ومحاكمته بسبب آرائه وأفكاره السياسية التي لا تتسجم وتوجهات تلك السياسات الظالمة^(٧)، فكان ضحية من ضحايا تلك الأنظمة السابقة، فجرب مرارة الاعتقال والسجن والجوع والعيش في الغربة بعيداً عن أرض الوطن والأهل، ولذلك فقد لاقى الجواهري والمثقف العراقي عموماً أقسى أنواع الاضطهاد والقمع الفكري والسياسي من جراء تحديه ووقوفه بوجه السلطات ومساندته لأبناء الشعب في كفاحهم ونضالهم ضد تلك الحكومات، فقد قام بعض المنتاقفين في عام ١٩٩٥ بالدعوة إلى إسقاط الحقوق المدنية عن الجواهري أثر مشاركته في مهرجان الجنادرية الثقافي السعودي الذي يُقام سنوياً بطريقة تتسم بالهمجية وذلك لغرض النيل من الجواهري والإساءة إليه^(٨)، فضلاً عن كثرة الخصوم فقد تحدث الجواهري في الفصل الثالث من ذكرياته عن الخصوم الذين واجههم وهو كما أسماه بـ(ملف خاص بساطع بيبك)^(٩).

وعلى الرغم من تغير ظروف البلاد وتعاقب الحكومات عليها إلا ان تلك الأحداث سببت للجواهري معاناة ظلت تلازمه طيلة حياته، ولذا فقد انعكس تأثير الظروف المحيطة به على نفسيته فأطلق صوته عالياً مدوياً للتعبير عما يدور في داخله من انفعالات وأحاسيس تجاه من سببوا له العذاب والألم واضطروه إلى التشرذم والعيش خارج الوطن، وان ((أكثر ما يشد المتلقي إلى شعر الجواهري تلك الذات العنيفة المتأججة. ان "أنا" الجواهري تتفجر عبر قصائده جياشة متعالية دون ان تسقط في نرجسية مقبلة تعزل الشاعر عن الناس وتمنعه من الانغمار في حياتهم الهادرة بالألم والترقب...))^(١٠).

ألفاظ العنف في قصيدة الهجاء عند الجواهري :

إن اللغة هي وسيلة الشاعر للتعبير عما يدور في داخله فـ((النص الشعري أو القصيدة تركيب فني من كلمات وألفاظ منتقاة ومختارة توحى بها لغة النص أو لغة الشاعر الشعرية، وهي لغة دون ادنى ريب، ذات أصول نحوية وصرفية ودلالات معجمية وصور بلاغية وجمالية لاسيما مع شاعر كبير وكبير جداً

ومبدع أصيل هو الجواهري...))^(١١)، فيختار الألفاظ والعبارات التي يستطيع من خلالها نقل أحاسيسه ومشاعره ((ومن يقرأ (الجواهري) يؤمن ان شيئاً من مهارة الشاعر يرجع إلى أسلوبه ولغته. فللجواهري أسلوب خاص ولغة خاصة. ولعل ذلك راجع للطريقة التي أخذ بها نفسه في أيام صباه، وكيف انه نجح في الإفادة مما قرأ وحفظ مضيفاً إلى ذلك تجاربه في الحياة التي أهتدى إليها بسعة إدراكه وحدة ذكائه...))^(١٢).

الجواهري شاعر يتسم بالعنف في خطابه وهو يستعمل للتعبير عن تلك النبذة العنيفة الفاظاً جريئة استطاع من خلالها نقل أحاسيسه بصورة موحية اتسمت بالدقة في وصف الحالة الشعورية التي يمر بها فكان ((الجواهري شاعراً جهيراً تطغى على شعره النزعة الخطابية وهي صفة بارزة في شعره تعكس التكوين النفسي والعاطفي للذين يتميزان بالحدة والعنف، هو كذلك في نتاجه على اختلاف المضامين التي ضمها، فالعاطفة الجياشة التي ينهض بها خياله الخصب إلى جانب طاقته اللغوية الهائلة التي تحقق أشكالاً لغوية تقوم على التنوع في الأساليب ولاسيما أساليب الطلب التي تنتشر في النص الشعري انتشاراً واسعاً لتفصح عن شاعر عنيف في خطابه...))^(١٣).

لقد استعمل الشاعر طرقاً مختلفة في عنفه ضد مهجوة وهي :

أ- الألفاظ الدالة على العنف :

استعمل الجواهري الألفاظ الخطابية المعبرة عن ذاته العنيفة نتيجة لإصطدامه بواقع الحياة، و((ان أول ما يبادرنا من خصائص شعر الجواهري، هذه القدرة الفائقة على التصوير أو التشكيل، حتى لكأن اللغة أضحت لديه محض خطوط واللوان وظلال، والفكر محض طينة لاتني تتشكل من خلال هذه اللغة صوراً وخلاتق وموجودات تتفاوت خلقة وتتعدد صيغة وتختلف نماذج...))^(١٤).

ومن تلك الألفاظ العنيفة التي استعملها هي (يتبجحون، كذبوا، أنا حنقهم، خسئوا، الأردليلين، هزءاً، عُفر الجباه، الشتم، السب، يستكلب، عذاب، دمار، نعيب، خراب) فهذه الألفاظ تعبر بدقة عن مدى عذابه وإحساسه الأليم، فكانت أداة ووسيلة الغاية منها دفع الشعب العربي ضد أعدائه المستعمرين ومن والاهم من الحكام المستبدين ((وغاية الجواهري في نضاله لم تكن غاية فردية، بل كانت غاية جماعية اتجهت نحو التحول والتغيير واسترداد الحقوق الجماعية التي لن تنال إلا بالتضحية...))^(١٥).

ففي قصيدته (هاشم الوتري) يستعمل ألفاظ (يتبجحون، كذبوا، أنا حنقهم، الشتم، خسئوا، الأردليلين، هزءاً، عُفر الجباه) وقد سجن الجواهري بسبب هذه القصيدة ولكن أطلق سراحه لفقدان الأدلة الثبوتية، لأنه بعد الانتهاء من إلقاء القصيدة قام بتمزيقها وربما تحت الطاولة، وقد قام القيادي الشيوعي اللبناني كريم مروة بجمع الأوراق الممزقة ووضعها في جيبه، وعندما عاد إلى لبنان قام هو وحسين مروة وولده نزار مروة بترتيب القصاصات وإرسالها إلى صحيفة التلغراف لنشرها وما أن وصلت إلى العراق حتى أستدعي الجواهري إلى التحقيق من جديد وأودع السجن مرة ثانية^(١٦)، وذلك لأنه ((عندما ألقى الجواهري رائعته تلك

نزلت كالصاعقة على رؤوس أركان العهد الملكي، حيث كان حاضراً الوصي عبد الإله ونوري السعيد وآخرون، وكانت أصابع الجواهري تشير إليهم متوعدة.))^(١٧). فيقول^(١٨):

يتبجحون بأن موجاً طاغياً	سدوا عليه منافذاً ومسارياً
كذبوا فملء فم الزمان قصائدي	أبدأ تجوب مشارقاً ومغارباً
تستل من أظفارهم وتحط من	أقدارهم، وتشل مجداً كاذباً
أنا حتفهم ألج البيوت عليهم	أغري الوليد بشتهم والحاجبا
خسئوا: فلم تزل الرجولة حرة	تأبى لها غير الأمائل خاطبا
والامثلون هم السواد، فديتهم	بالأرذلين من الشرة مناصبا
بمملكين الأجنبي نفوسهم	ومصعدين على الجموع مناكبا
أعلمت "هاشم" أي وقد جاحم	هذا الأديم تراه نضوا شاحبا؟
أنا ذا أمامك ماثلاً متجبراً	أطأ الطغاة بشسع نعلي عازبا
وأمط من شفتي هزماً أن أرى	عُفر الجباه على الحياة تكالبا

فالشاعر يوجه خطابه إلى الطغاة الحاكمين من قوله (أنا حتفهم)، وما صورة (الوليد والحاجب) اللذان يقومان بتوجيه السب والشتم إلا تجسيد واضح لشخصيته العنيفة التي هزت أركان الحكم، فقصائده تحط من أقدارهم و(أطأ الطغاة بشسع نعلي) فالصورة هنا لم تتحقق باللفظ وحده بل جاءت لتكون كناية عن حقارتهم وضعفهم، وما أستعماله لهذه الألفاظ إلا تحدياً منه لطغيان الاستعمار والسائرين في ركابه من حكام البلاط ومن والاهم، فضلاً عن ان تجربته الشعرية هنا بُنيت على أساس إثارة حماس الشعب ضدهم، ((فلا جرم ان يتدفق قصيده والشاعر على هذا النحو من التأزم، بمنثله هذا العنف في الإيقاع وتلك الصور المتفجرة بالغضب... ذلك ان صفة هذا التدفق إنما هي انعكاس لما كان عليه واقع الناس في العراق من فوران وغضب وعنف في مواجهة النظام...))^(١٩).

وكذلك استعمل لفظه (يستكلب) في قصيدته (كما يستكلب الذيب) التي ((نظمت ببغداد عام ١٩٥٣ وكان رهط من الحاكمين يساندهم نفر من طلاب مجد كاذب، وزعامات مزيفة قد تألبوا على الشاعر أثر فضحه تحالفاً سياسياً بغيضاً بين هؤلاء وهؤلاء، وأغرى كل واحد من الفريقين دعائه المأجورين والحاسدين والحاقدين بشتمه. وكان لهذه القصيدة دوي كبير في مختلف الأوساط الأدبية والسياسية، وتناقلتها عدة صحف عربية.))^(٢٠). فيقول^(٢١):

عدا علي كما يستكلب الذيب	خلق ببغداد أنماط أعاجيب
خلق ببغداد منفوخ، ومطرخ	والطيب للناس منفوخ ومطلوب
خلق ببغداد ممسوخ يفيض به	تاريخ بغداد لا غرب ولا نوب!

فالشاعر هنا حاول إبراز صورة هؤلاء العدوان المنافقين وصورة يستكلب الذيب التشبیهية تحمل معنى كنائياً عن ضعف هؤلاء فلا يعدو ان يقتصر فعلهم على العواء والنباح لا يحملون من صفات الذئب إلا المكانة المزيفة، ويستمر في أبيات أخرى منها في هجومه العنيف ضدهم واصفاً أياهم بأبشع الصفات فهم متروكون ومجهولون ولئيمون وجبناء وهم في سبهم للشاعر بعوضات لا يحس بلدغها. فيقول^(٢٢):

والناسُ واللهُ يدري أنهم همَلٌ غُفْلٌ، سوامٌ، عضاريطٌ، مناخيب
مشت إليّ بموضاتٍ تُلدغني وهل يُحسُّ ديببَ النملِ يعسوبٌ

كما استعمل لفظة (كلب) في قوله^(٢٣):

سمِنَ الكلب على لحم الشعوب واكسَهُ من عُريها أبهى حُل
واخلع البؤس عليها والشحوب وأسل ذوب الأسي بين المقل
وانشُر الرُعب على كل الدروب لا تُثرها بشُعاغٍ من أمل

لقد أستعان بصورة الكلب الاستعارية إشارة مرة أخرى إلى مدى ضعفهم ونباحهم بوعود كاذبة، وما صورة (نشر الرعب) تلك إلا صورة غاية في الروعة تؤطر لنا العنف بإيجاز ودقة. (إن الجواهري يمتلك طاقة انفعالية هائلة لا تستطيع ان تتحمل الضيم أو الحزن أو أية إساءة تجرح كرامته فينبري لذلك ويرد رداً عنيفاً لا يرحم خصمه ولذلك يعتد الشاعر بنفسه اعتداداً عظيماً ويترجم ذلك الانفعال عن طريق مد القول في القصيدة.)^(٢٤)، ففي قصيدته (ضحايا الانتداب) يقول^(٢٥):

بأن الجوّ مملوء ضبابا
بمدحٍ أنها شُحنت سبابا
رمياً أي شاكله أصابا
وريقه إذا ورد اللصابا
بها النواب لم ترد انتخابا

لقد رسم صورة رائعة لعنفوان الشعب وثورته على الحكام عبر الطباق الفاعل في البيت الثاني بين (المدح - والسباب)، فيتحدثهم بلهجة عنيفة مملوءة بالغضب الشعبي متوعداً أياهم بعدم صفاء الجوّ لهم ويشتمهم رغم ظنهم بأن الأوضاع هادئة والجوّ صافٍ لهم والمجالس عامرة بمدحهم فسوف يعرفون إرادة الشعب الأبية ويدركون حقيقة تصميمه ورغبته في تغيير واقع البلاد.

وفي قصيدته (يا ثمر العار) يخاطب الدنيا بعنف وشدة مشبهاً أياها بإبرة البحار وبالطيور الحرة. فيقول^(٢٦):

أي جرباً تجربي تكتلي تحزبي
كإبرة البحار في عاصفةٍ تذبذبي
وكالطيور في السماء حُرّةً تقلبي
أي جرباً ويحك ما أصلف وجهك الغبي
أكل يوم تطلعين للورى بكوكب
مذنب من فضل ما أعطيته من ذنب
فتارةً بمشرقٍ وتارةً بمغرب
أي جرباً في كل يوم حُلّةً تجلبي
أي جرباً كم تدعين عفةً لم توهبي
إذ أنت للفجرة تمتطين شرّ مركب

فالصورة البصرية الحركية تتجسد بالأفعال (تكتلي، تحزبي، تذبذبي، تقلبي، تطلعين، تجلبي، كم تدعين، لم توهبي، تمتطين) التي جاء بها لرسم صورة بصرية لما كان عليه واقع الحال آنذاك، موجهاً من خلالها خطابه لذلك النظام بقوله (ويحك ما أصلف وجهك الغبي) الذي وعد الناس ولم يف بوعده لهم، فكان الجواهري يتفجر غضباً وحنقاً على هؤلاء الفجرة الذين يدعون العفة والنزاهة، فالشاعر هنا قد عايش الواقع المأساوي الذي كان يعيشه الناس ومفارقات الحياة، فجاء بهذه الصور وهذه الألفاظ العنيفة التي نقل من خلالها معاناة الناس ومآسيهم من تلك الحكومات الظالمة لهم.

ومن نماذج الصور البصرية الزاخرة بالأفعال قوله في قصيدته (أطبق دجى)^(٢٧):

أطبق دُجى، لا ينبج	صُبِحَ ولا يخفق شهاب
أطبق فتحت سماك	خلق في بصائره مُصاب
لا يفتح - خوفاً عليه -!	من العمى للنور باب
أطبق إلى يوم النشور	ويوم يكتمل النصاب
أطبق دُجى حتى يقىء خمول	أهل الغاب غاب
أطبق دُجى: حتى يمل	من السواد به الغراب
أطبق دُجى: حتى يُحلق	في سماوات عُقاب
غضبان أن لم تحم أعشا	شأ لها طير غضاب

الكناني

فهنا يوجه خطابه العنيف إلى الخاملين الذين لزموا الصمت المنتظرين رحمة القدر بهم المضيعين بذلك فرصة النهوض بقضية الشعب وخلصه من واقعه المر، فخاطب الجواهري هؤلاء من خلال استعمال الفعل (أطبق) فضلاً عن أستعماله للأفعال المنفية (لا ينبج، لا يخفق، لا ينفج)، فإن الظلام قد خيم على كل شيء فالأبصار قد عُميت ولا ترى للنور باب ينفج إلى يوم النشور، ويستمر في تكراره للفعل (أطبق) الذي اشتملت عليه كل مقاطع القصيدة.

إن الصورة البصرية تتحقق هنا عبر اللون في صورة الدجى الذي ملّ سواده حتى الغراب والحركة في تحليق العقاب الذي كان كناية عن انتظار الفرج على يد ثوري وطني صادق شجاع، وما صورة الغضب في البيت الأخير (المقيد بالعقاب والطيور) إلا إشارة ان لم يكن كناية عن انتفاضة الشعب وولادة بطل على يده الخلاص والانتصار.

فالمصور الحسية هنا مرئية وما هذا التصوير إلا تأكيداً منه لتدهور أوضاع البلد الذي أصبح الظلام يحيط به من كل جانب ويطبق عليه.

إن وطأة الحياة وشدة الظروف وقسوتها أدى إلى إحساس الجواهري بمعاناة أبناء شعبه ((حتى أصبح من خلال أبداعه الفني رجل الثورة الذي تهيجه مآسي مجتمعه وأحوال بلاده، فينتفض في وجه الحكام انتفاض جرأة وصراحة وعنف...))^(٢٨)، فكان صوت الأمة المعبر عن أحزانها وآلامها والشاعر المتفجر بالعرف إيقاعاً وزنياً وصوراً بلاغية بأسلوب محكم الصياغة مصوراً بذلك جسامة الأحداث ولاسيما في قصيدته (يوم الشهيد) التي ((نظمت بمناسبة الذكرى الأربعينية لاستشهاد الشهيد "جعفر الجواهري" الذي جرح في معركة الجسر الشهيرة يوم ٢٧ كانون الثاني عام ١٩٤٨، واستشهد متأثراً بجراحه يوم ٤ شباط...))^(٢٩). فيقول^(٣٠):

تباً لدولة عاجزين توهموا	أن "الحكومة" بالسياط تُدام
والويل للماضين في أحلامهم	إن فرّ عن "حلم" يروع منام
وإذا تفجرت الصدور بغیضها	حنقاً كما تتفجر الأغام
وإذا بهم عصفاً أكیلاً يرتمي	وإذا بما ركنوا إليه رُكام
وإذا بما جمع الغواة خُشارة	"وإذا عصارة كل ذاك أثم"

فما خطابه العنيف هذا وتحديه الواضح وتهديده لهؤلاء الحكام إلا نتيجة لما وصل له الغليان الشعبي الذي رافق أحداث تلك المعركة، فهو هنا في ذكرى استشهاد أخيه لكنه أستغل المناسبة ليذكر الحكام بالغضب الشعبي العارم، فقد استعمل ألفاظاً أراد من خلالها أن يستغل المناسبة للثورة وتحريض الشعب للأنقضاض على السلطة مثل (تباً، الويل، تفجرت، عصفاً، رُكام، خُشارة، أثم) وهي كلها صور وألفاظ ترسم لنا صورة العنف عند الجواهري بأساليب فنية متنوعة بين تشبيه وتضمين وكناية أثرت النص.

إن هذا الصوت العنيف المليء بالتحدي والمعبر عن شدة غضبه يستمر إلى نهاية القصيدة، رافعاً بذلك راية التحدي بوجه الطغاة، فضلاً عن أمله في قيام ثورة شعبية عارمة تستطيع تغيير مجرى الأحداث لصالحها. فيقول^(٣١):

هي أمةٌ خاف الطغاة شذاتها فسعوا بها، فإذا بها أقسام
وإذا بها والذلُّ فوق رعوسها فُقبَّ له مضروريةٌ وخيام
يحتازها والجوعُ ينهشُ لحمها! باسم "الرغيف" معرةٌ وصدام

فالشاعر هنا يؤكد بأنها أمة خاف الطغاة شذاتها أي حدثها فسعوا إلى تقسيمها فأصبحت أمة ذليلة تعاني شعوبها من الجوع والحرمان.

فمن خلال هذه القصائد عبر الجواهري عما في نفسه المتألّمة، نتيجة لما تركته مضايقات الآخرين ومحاولتهم النيل منه في داخله من غيظ وتحدي أدى به إلى كل ذلك العنف.

ب- التكرار:

التكرار ظاهرة لغوية يسلط الشاعر من خلالها الضوء على عبارة معينة في القصيدة، ليكشف عن عمق تجربته الشعرية والحالة الشعورية التي وصل لها، ((والتكرار وسيلة أخرى كثيراً ما يعتمد إليها الجواهري لتعميق إيقاع الكلمات وأعلاء وقعها...))^(٣٢).

((وكان يرى في الحكومات الفاسدة التي اصطنعها الاستعمار لتحقيق أهدافه وأغراضه بؤرة الفساد والدمار. فوجه سهام غيظه ونقمته إلى الطبقة الحاكمة ومركزاتها السياسية والاقتصادية مثل الاقطاع وكبار الملاكين حينذاك. وكان عنيفاً في هجومه هذا، متفائلاً بسقوط الظلم والاستبداد...))^(٣٣)، ففي قصيدته (الدم يتكلم بعد عشر) التي ((نظمت عام ١٩٣١، وقد مضت على ثورة العشرين، عشر سنوات، وكان العراق يجتاز أزمة سياسية واقتصادية خانقة، وكان لهذه القصيدة تأثير شديد في المحافل السياسية وفي الأوساط الأدبية على حد سواء...))^(٣٤)، يكرر لفظة (سب) عدة مرات. فيقول^(٣٥):

قبل أن تبكي النبوغ المضاعا سُب من جرَّ هذه الأوضاعا
سب من شاء أن تموت وأمثا لك هماً وأن تروحوا ضياعا
سب من شاء أن تعيش فلولاً حيث أهل البلاد تقضي جياعا

وما تكرر كلمة (سب) هنا إلا تأكيد منه لما تركه الحكام الظلمة في نفسه من أسى وحزن عميقين، فقبل البكاء عليه أن يسب من جاء بهذه الأوضاع المؤلمة ومن شاء أن يموت هو وأمثاله هماً ومن أراد أن يموت الناس جوعاً، وهو من خلال أسلوبه العنيف هذا أراد الإشارة إلى أن مكاسب ثورة العشرين لم تتحقق حتى بعد مضي عشر سنين على إندلاعها.

الكناني

وأيضاً يستعمل التكرار في قصيدته (أطبق دجى). فيقول^(٣٦):

أطبق دجى،	أطبق ضبابُ	أطبق جهاماً	يا سحابُ
أطبق دخان من الضمير	مُحرقاً	أطبق،	عذاب
أطبق دمازُ	على حُما	ة دمارهم،	أطبق تباب
أطبق جزاءُ	على بُناة	قبورهم	أطبق عقاب
أطبق نعيبُ،	يُجب صدا	ك البومُ،	أطبق يا خراب
أطبق على	مُتبدل	ين شكا	خمولهم الذباب
لم يعرفوا	لون السماء	لُفرط ما	انحنت الرقاب

((يهيمن على هذا المقطع عنف لغوي ونفسي كاسح، فالشاعر يواجهنا بتدفق من الجمل العنيفة. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن تكرار الفعل (أطبق) أثنى عشرة مرة أشاع جواً شديد التوتر في هذا المقطع المكون من سبعة أبيات فقط.))^(٣٧)، لقد سعى الشاعر هنا لتوظيف التكرار عبر فعل الأمر ليوجه اللعنات كرد فعل لما كان يسود في عصره من قضايا سياسية واجتماعية متأزمة، ولذا فقد استعمل التكرار للتعبير عن نفسه الجياشة بالانفعالات الميالة إلى التحدي والسخط على كل ما يجري من أوضاع متردية للبلد في ذلك الوقت، وان كلمة (الذباب) كانت صورة غاية في الروعة كناية عن كسلهم وحقارتهم. وبذلك فإن تلك الألفاظ التي استعملها دلت على مدى مخاطبته للآخرين بأسلوب عنيف. نتائج البحث:

لقد توصلت في دراستي هذه إلى مجموعة من النتائج وهي:

- ١- تركت الظروف والحياة غير المستقرة تأثيرها الواضح على نفسية الجواهري فأصبح ذا مزاج عنيف، إذ ان انتقاله من البيئة النجفية إلى بغداد واشتغاله بالبلاط الملكي ثم عمله بالصحافة وتعرضه للضغوط السياسية أدت به إلى أن يكون شاعراً ذا ألفاظ شديدة اللهجة ضد معانديه وممن حاولوا النيل منه.
- ٢- الجواهري صاحب كلمة ثورية وكان بطبيعة الحال عنيفاً في مخاطبته للآخرين ولاسيما الحكام الظالمين، وقد لاقى بسبب ذلك الكثير من المتاعب التي أدت به إلى الفصل من الوظيفة وتعطيل معظم الصحف التي كان يصدرها وإغلاقها وحتى التعرض إلى الملاحقة والسجن والنفي.
- ٣- استعمل الجواهري في أغلب قصائده اللغة السهلة الواضحة البعيدة عن الغموض والتعقيد المعبرة عن أسلوبه العنيف بألفاظ جريئة اتسمت بالدقة في التعبير عن مجريات الأحداث.
- ٤- معظم صور العنف عند الجواهري كانت حسية حركية عبر من خلال الأفعال التي استعملها عن واقع الناس المتفجر بالغضب والعنف في مواجهة الأنظمة القمعية.

٥- إن المضاميات التي تعرض لها الجواهري من بعض رجال الساسة والحساد والمعارضين لخطه النضالي أدت به إلى ان يكون عنيفاً في خطابه، فكانت قصائده صرخة مدوية في وجوه هؤلاء الذين حاولوا الحط من قدره والتقليل من شأنه .

الهوامش:

- (١) لسان العرب مادة (عنف): ٤٢٩/٩. وينظر القاموس المحيط مادة (عنف): ١٨٤/٣، معجم مقاييس اللغة مادة (عنف): ١٥٨/٤، كتاب العين مادة (عنف): ١٥٧/٢، المنجد في اللغة مادة (عنف): ٥٣٣، معجم متن اللغة مادة (عنف): مج ٤/٢٢٢، المعجم الوجيز مادة (عنف): ٤٣٧.
- (٢) تاج العروس مادة (عنف): مج ٦/٢٠٥.
- (٣) المعجم الوسيط مادة (عنف): ٦٣٧/٢.
- (٤) ينظر ذكرياتي، محمد مهدي الجواهري، ج ١: ٥٣-٥٥.
- (٥) الجواهري جدل الشعر والحياة، د. عبد الحسين شعبان: ١٤٢.
- (٦) تطور الأدب العربي المعاصر، تاريخ ونصوص، د. محمود شكيب انصاري: ١٢٣.
- (٧) ينظر الجواهري شاعر العربية، ج ١: ٦٠-٧٥.
- (٨) ينظر الجواهري جدل الشعر والحياة: ٥٩-٦٨.
- (٩) ينظر ذكرياتي: ١٣٣-١٧٢.
- (١٠) ملامح من المشهد الشعري في العراق، د. علي جعفر العلاق: ٣.
- (١١) أسفار في النقد والترجمة، د. عناد غزوان: ٤١.
- (١٢) محمد مهدي الجواهري، دراسات نقدية، د. إبراهيم السامرائي: ١٨٢.
- (١٣) لغة الشعر عند الجواهري، د. علي ناصر غالب: ٦١.
- (١٤) الوعي الشعري ومسار حركة المجتمعات العربية المعاصرة، محمد مبارك: ١٤٥.
- (١٥) شعر الجواهري دراسة موضوعية وفنية، أناهيد الشويلي، رسالة ماجستير: ٥٨.
- (١٦) ينظر الجواهري جدل الشعر والحياة: ٤٩، ٥٠.
- (١٧) نفسه: ٤٩.
- (١٨) ديوان الجواهري، ج ٣: ٥٦٦.
- (١٩) الوعي الشعري ومسار حركة المجتمعات العربية المعاصرة: ١٣٦.
- (٢٠) ديوان الجواهري، ج ٤: ٦٤٩.
- (٢١) نفسه.
- (٢٢) نفسه: ٦٥١.
- (٢٣) نفسه: ٦٠١.
- (٢٤) لغة الشعر عند الجواهري: ٥٦.
- (٢٥) ديوان الجواهري، ج ١: ١٩٤.
- (٢٦) نفسه، ج ٣: ٥٢٨.

الكناني

- (٢٧) نفسه: ٥٦٩.
- (٢٨) أسلوب الاستفهام في شعر الجواهري دراسة بلاغية ونحوية وإيقاعية، محمود كاظم موات، رسالة ماجستير: ٤.
- (٢٩) ديوان الجواهري، ج٣: ٥٠٧.
- (٣٠) نفسه: ٥٠٩.
- (٣١) نفسه: ٥١٦.
- (٣٢) لغة الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية، د. عدنان حسين العوادي: ٣٥١.
- (٣٣) تطور الأدب العربي المعاصر، تاريخ ونصوص: ١٢٤.
- (٣٤) ديوان الجواهري، ج٢: ٢٧٢.
- (٣٥) نفسه.
- (٣٦) نفسه، ج٣: ٥٦٧.
- (٣٧) ملامح من المشهد الشعري في العراق: ٤.
- المصادر والمراجع:
- ١- أسفار في النقد والترجمة، د. عناد غزوان، طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٥.
 - ٢- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، مج٦، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، (د.ت).
 - ٣- تطور الأدب العربي المعاصر، تاريخ ونصوص، د. محمود شكيب انصاري، مركز الطباعة والنشر بجامعة شهيد چمران، أهواز - إيران، ٢٠٠٥.
 - ٤- الجواهري جذل الشعر والحياة، د. عبد الحسين شعبان، ط٢، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ٢٠٠٩.
 - ٥- الجواهري شاعر العربية، عبد الكريم الدجيلي، ج١، ساعدت وزارة التربية والتعليم على نشره، مطبعة الآداب - النجف الأشرف، ١٩٧٢.
 - ٦- ديوان الجواهري، ج (١-٧)، ط٢، دار الحرية للطباعة والنشر - بغداد، ٢٠٠٨.
 - ٧- ذكرياتي، محمد مهدي الجواهري، ج١، دار الرافدين - دمشق، ١٩٨٨.
 - ٨- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ج٣، تم طبعه في شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٩٥٢.
 - ٩- كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ج٢، دار الحرية للطباعة، دار الرشيد للنشر، توزيع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان - بغداد، ١٩٨١.
 - ١٠- لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، طبعة جديدة مصححة وملونة اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ج٩، ط٣، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ١٩٨٦.
 - ١١- لغة الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية، د. عدنان حسين العوادي، دار الحرية للطباعة، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، توزيع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان - بغداد، ١٩٨٥.
 - ١٢- لغة الشعر عند الجواهري، د. علي ناصر غالب، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ٢٠٠٩.
 - ١٣- محمد مهدي الجواهري، دراسات نقدية، أعدها فريق من الكتاب العراقيين، أشرف على إصدارها هادي العلوي، مطبعة النعمان - النجف الأشرف، الناشر مكتبة الاندلس - بغداد، ١٩٦٩.
 - ١٤- معجم متن اللغة، للعلامة اللغوي الشيخ أحمد رضا، مج٤، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠.

الفاظ العنف في قصيدة الهجاء عند الحواري

- ١٥- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج٤، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٧١.
- ١٦- المعجم الوجيز، منشورات دار الثقافة، إيران - قم، ١٩٩٠.
- ١٧- المعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، وأشرف على طبعه عبد السلام هارون، ج٢، المكتبة العلمية، طهران، (د.ت).
- ١٨- المنجد في اللغة، لوئيس معلوف، ط٣٧، مطبعة غدیر، انتشارات ذوي القربى، ١٤٢٣هـ.
- ١٩- الوعي الشعري ومسار حركة المجتمعات العربية المعاصرة، محمد مبارك، طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٤.

الرسائل الجامعية:

- ١- أسلوب الاستفهام في شعر الجواهري، دراسة بلاغية ونحوية وإيقاعية، محمود كاظم موات، رسالة ماجستير، جامعة البصرة - كلية التربية، ٢٠١٠.
 - ٢- شعر الجواهري، دراسة موضوعية وفنية، أناهيد ناجي فيصل الشويلي، رسالة ماجستير، جامعة البصرة - كلية التربية، ٢٠٠٥.
- مصادر الانترنت:
- ١- ملامح من المشهد الشعري في العراق، د. علي جعفر العلاق،

2005 Al-Imbaratur, Inc. All Rights Reserved.

Violence in the Poetry of Al-Jawahiri

Abstract

The circumstances that Al-Jawahiri witnessed have sharpened the ways his poetry looks. This is very clear in the poems that are characterized by their violent images in talking to other people. He lived in a period of time when Iraqi people suffered a lot and this is very clear in his revolutionary poetry. In these poems he calls upon people to lift up injustice and to obtain a suitable life for them. This is adopted through the revolutionary spirit and the special style of his poetry. The vocabulary he uses is very familiar , simple and free from vagueness. The words he uses express his violent style in describing his poetic condition. All the images of violence he adopted express a mental state through the verbs he used. This reflects the bitterness he felt towards the state of Iraqi people who were suffering from injustice.